

الوحدة الاسلامية في ضوء الخطبة الشامية

أ. د. عبد الودود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ان التوحيد الإلهي هو حقيقة اتحاد الاسلام. والوحدة الاسلامية

اما يمينه - اي قسمه - وبيعته فهو الايمان.

واما مقراته واماكن تجمعه فهي المساجد.

واما اعضاؤه فكل المؤمنين.

واما نظامه وقوانينه فهو السنن الاحمدية والقوانين الشرعية..

"بديع الزمان سعيد النورسي"

صور... تاريخية..

انني من عشاق التاريخ..!

فالتاريخ كما اعتقد.. هو "المعلم" الحقيقي لمن يريد ان يتعلم. وهو كما يقول - ابن خلدون - استاذ الحياة الاول..!

ولم أزل حتى هذا اليوم حريصا على القراءة في كتبه. وفي الحصول على اي كتاب جديد يتصل بموضوعه..

وليس من قبيل المصادفة - انني كنت اقرأ - قبل كتابتي هذا البحث، بحوثا أخرى تاريخية، وبالذات في مجلة "العروة

الوثقى" ١ يقول "جمال الدين الافغاني" في هذه المجلة:

"أظلت ولاية الاسلام ما بين نقطة الغرب الاقصى، الى "توكانى" على حدود الصين.

اقطار متصلة، وديار متجاورة. كان لهم فيها السلطان الذي لا يغالب، اخذ بصولجان الملك منهم ملوك عظام فأداروا بشوكتهم كرة الارض الا قليلا، ماكان يهزم لهم جيش، ولاينكس لهم علم، ولايرد قول على قائلهم.. كان في نقطة الشرق من حكمائهم ابن سينا، والفارابي، والرازي.

وفي الغرب: ابن رشد، وابن طفيل، ومايين ذلك امصار - تتزاحم فيها اقدام العلماء في الحكمة، والطب، والهيئة والهندسة، فضلاً عن العلوم الشرعية التي كانت عامة في طبقات الامة..

كان الخليفة العباسي ينطق فيخضع لها "فغفور الصين" ٢، وترتعد منها فرائص اعظم ملوك اوربا.. كانت لاساطيل المسلمين سلطة لاتبارى في البحر الابيض والاحمر والمحيط الهندي، ولها الكلمة العليا في تلك البحار الى زمان غير بعيد كان مخالوفهم يدينون لملكوت فضلهم، كما يذلون لسلطان غلبهم.

فما بالهم اليوم وقد تفرقوا؟ واختلفوا وتنازعوا وسبقهم غيرهم من الامم وتأخروا؟

انه تنازع الامراء. وتفرق الكلمة. وانشقاق العصا، فلهوا بأنفسهم عن تعرض الاجانب بالعدوان عليهم.

ضرب الفساد في نفوس اولئك الامراء بمرور الزمان، وتمكن من طباعهم حرص وطمع باطل، فانقلبوا مع الهوى وقنعوا بألقاب الامارة واسماء السلطنة ونعومة العيش، واختاروا موالاة الاجنبي المخالف لهم في الدين والجنس، ولجأوا

للاستنصار به، وطلب المعونة منه على ابناء ملتهم.

وهذا هو الذي اباد مسلمى الاندلس، وهدم اركان السلطنة التيمورية في الهند، ومحا أطلالها، وهكذا تلاعبت اهواء السفهاء بالممالك الاسلامية، وذهورتها امانهم الكاذبة.

ألا قاتل الله الحرص على الدنيا، والتهالك على الخسائس.

اما وعزة الحق وسر العدل! لو تُرك المسلمون وانفسهم مع رعاية العلماء "العاملين" لهم، لتعارفت ارواحهم، واثلفت آحادهم. ولكن وا واسفاه...! تخللهم اولئك المفسدون الذين يرون كل السعادة في لقب امير او ملك، ولو على قرية لا امر فيها ولا نهى ٣ !!!

ان ما قاله "جمال الدين" عن ملوك "الطوائف" في هذا العصر، هو ، هو ما قاله "ابن حزم" عن ملوك الطوائف بالامس. والداء الذي قُتل به المسلمون في "الاندلس" هو . هو . الداء الذي لايزال ينشب مخالفه في قلب هذه الامة حتى هذا اليوم..

يقول ابن حزم:

"واما ما سألتم من امر هذه الفتنة وملابسة الناس بها، مع مظاهر من تربص بعضهم ببعض، فهذا امر امتحنا به، نسأل الله السلامة، وهي فتنة، أهلكت الاديان الا من وقى الله من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب.

وعمدة ذلك - اي سبب ذلك - أن كل مدبر مدينة او حصن في اندلسنا هذه، أولها عن آخرها، محارب لله تعالى ورسوله وساع في الارض بفساد، والذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على اموال المسلمين من الرعية، وابعثهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضون على اهلها، وانهم ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين، حتى استشرف لذلك اهل القلة والذمة وانطلقت أسنة اهل الكفر والشرك، بما لو حقق النظر ارباب الدنيا، لاهتموا بذلك ضعف همنا، لانهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحماية للملة الغراء، ثم هم بعد ذلك متردون بما يؤول اليه اهمال هذه الحال، من فساد سياستهم، والقدح في رياستهم، ففلاسباب اسباب، وللمداخل الى البلاء ابواب، والله اعلم بالصواب...٥.

ان القلب ليمتلئ رعبا وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التي حيكت لتقسيم العالم الاسلامي وابتزازه، والعمل على تدميره وتحطيمه، وقد ذكر لنا المرحوم شكيب ارسلان مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة، وفي هذا الحوار بين القيصر نيقولا امبراطور روسيا، والسير هاملتون سيموز سفير بريطانيا تتضح ابعاد هذه المؤامرة الخطيرة، وكيفية التدبير او التفكير تجاه العالم الاسلامي وتدميره...٦.

"... ففي ليلة سمر عند الغراندوقة "هيلانة" الروسية - ٩ يناير ١٨٥٣م قال الامبراطور نيقولا للسير هاملتون:

"تأمل.. نحن بين ايدينا رجل مريض... ومريض جدا، ويكون بالفعل وبالا عظيماً علينا ان خرج أمره من ايدينا...!"

وفي مرة ثانية دعى السفير هاملتون لمقابلة القيصر فقال له ايضاً:

"انت لاتجهل المقاصد والمرامي التي لاتزال في روسيا منذ عهد كاترينا..."

وتركيا هي كما قلت لك - من قبل - رجل مريض، ويجوز ان تموت بالرغم منا...! فتبقى عبئاً علينا، وليس في استطاعتنا

"أفلا يكون من الأفضل بحقنا - تفاديا من حرب اوربية - ان نتفق من قبل على أمرها حتى لانؤخذ على غرة! وانني اقول لك بصراحة.. واننا ان استطعنا انا وانجلترا ان نتفق في هذا الموضوع لم يهمننا الآخرون.. وانا لا أكتمك انه ان كان في نية انجلترا الاستيلاء على الاستانة ٧ فلن اتحمل ذلك. لا اقول ان لكم هذه النية. ولكن اقول ان صحت هذه النية فلن اكون راضيا. وانا نفسي اتعهد ايضا بأن لا احتلها مالكا... أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستيداع فقد ارضى..!!!

واما اذا بقيت بدون قرار بشأنها، فقد يجوز اني احتلها قولا واحدا..!!!.

فاجاب السير هاملتون: "ليسمح لي جلالتك بالقول انه ليس عندنا ادنى سبب للظن بأن المريض هو على وشك الهلاك..!!!".

فرد القيصر في حدة قائلا:

"اذا كان عند حكومتك امل بان تركيا لاتزال فيها عناصر الحياة فتكون المعلومات التي لديها غير صحيحة... وانا اؤكد لك ان المريض هو في حالة الاحتضار وانه لايجوز ان يموت ونحن عنه غافلون..!!!

بل يجب ان نتفق... ولست اكلفكم عقد معاهدة.. او تحرير صك.. وانما اطلب كلمة اتفاق عامة، وهكذا كاف فيما بين الرجال الاكياس.."

لم يحدث في التاريخ، وفي اشد عصوره همجية ان تأمر رئيس دولة على دولة مجاورة، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة التي كان يفكر بها قيصر الروسيا، ولم يحدث في اظلم عصور التاريخ، واشدها همجية ووحشية ان حكم رئيس دولة اخرى بالموت، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة، ولم يحدث ولن يحدث في المستقبل كما نظن. ولكن الاحقاد التي تشعبت جذورها في العقل الاوربي وغارت في اعماق مشاعره واحساسه هي التي كانت تخطط لهذا العمل الهمجي، وتنظم هذا الهجوم الوحشي... وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملي..

وسواء أكان موقف السفير الانجليزي تعبيراً عن موقف حكومته.. أم لم يكن فان الواقع ينفي كل اعتبار لحسن النية، واعتقادنا هو: ان بريطانيا لم تشأ ان تشرك روسيا معها في اقتسام الضحية..

لقد بدأ الهجوم على العالم الاسلامي في كل اقطاره، واحاطت به الجيوش والاساطيل، في عقر داره، دمرت بريطانيا ممالك الاسلام في الهند، وسيطرت على الخليج، واحتلت في طريقها عدن، وابتحرت اساطيلها شرقا وغربا، فلم تدع جزيرة في بحر، او مدينة على ساحل.

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا فاحتلت الجزائر والمغرب وتونس..

وذهبت ايطاليا الى الصومال واريتريا، وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها.. واحيط بممالك الاسلام وسلطاناته في شرق وغرب افريقيا، واخيرا وقعت مصر والسودان في قبضة بريطانيا..

لقد سقط "المجدار" ومشت سكة الاجنبي في حقل الاسلام، وتداعت الامم على المسلمين، كما تنبأ النبي صلي الله عليه وسلم قبل ذلك بأكثر من الف واربعمئة عام..٨.

ومن الوثائق السرية التي نشرت مؤخراً وثيقة باسم وزير المستعمرات البريطانية. والذي كان اسمه في ذلك الوقت "اورمس جو".

تاريخ الوثيقة ١٩٣٨/١/٩ م.

يقول هذا التقرير او هذه الوثيقة:

ان الحرب علمتنا ان الوحدة الاسلامية هي الخطر الاعظم الذي يجب ان نحاربه وان نقاومه. وليست بريطانيا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل وفرنسا ايضاً.

ومن دواعي فرحنا ان الخلافة الاسلامية قد زالت. ونتمنى ان يكون ذلك بغير رجعة...!!!

ان سياستنا تهدف دائماً وابدأ الى منع قيام الوحدة الاسلامية او التضامن الاسلامي. ويجب ان تبقى هذه السياسة كذلك...!!!

ان سياستنا في الحرب العالمية الاولى - مع العرب - لم يكن الغرض منها القضاء على قوات الخلافة فقط.. بل القضاء على هذه الخلافة ذاتها واحياء النعرات القومية والعنصرية في مصر وتركيا وغيرها...!!!

".. وكما يقطع الجزائر ذبيحته إرباً إرباً من المفاصل، كذلك كانت الخطة الغربية تقضي بأن تجزأ الدولة العثمانية الى دول عدة، وكان نصيب الاسد في التجزئة والبعثرة من نصيب العرب بصورة خاصة، فاذا كانت الخطوة الاولى عزل تركية على جهة، وتكريس عزل ايران على جهة، وعزل افغانستان على جهة، وكذلك تكريس فصل الاجزاء الاسلامية في مناطق اوزبكستان وطاجكستان واذربيجان وتركستان وقازاخستان وغيرها. فان النصيب الاوفر من التجزئة كان من حصة البلاد العربية حيث بعثت بعثة الى عشرات الاجزاء، وقد يتصور البعض ان ذلك حدث بسبب الصراع الفرنسي - البريطاني حيث اقتسم كل منهما اجزاء خاصة به، ولكن لو كان الامر كذلك لاختذت التجزئة العربية الانشطار الى جزأين كبيرين او ثلاثة او اربعة. بينما الذي حدث ان المناطق التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار الواحد جزئت تجزئاً، فلبنان فصل عن سوريا، وكلاهما كان تحت الانتداب الفرنسي، والاردن فصل عن فلسطين، وفصل العراق على حدة، وكذلك دول الخليج ومصر والسودان، وكلها كانت تحت نفوذ الاستعمار البريطاني، والامر نفسه بالنسبة الى المغرب العربي الكبير، الذي تجزأ واغلبه تحت السيطرة الفرنسية.

الغريب ان بريطانيا ١٠ في الهند عملت على توحيدها وقد دخلتها مجزأة، اما في البلاد العربية فالقرار كان تمزيقها شر ممزق وقد دخلتها موحدة، ولن تجد لذلك تفسيراً غير السمة الاسلامية التي قرر الغرب ان يقضي عليها بكل الوسائل، ومن بينها تجزئة الامة الى عشرات الاجزاء المتباعدة المتناحرة، اي المشلولة، وقد اريد فيما اريد من التجزؤ ان تبرز مشاكل حدود ومطالبات فيما بين الاجزاء تؤدي الى صراعات لانهاية لها، وهذا واضح مثلاً من التقسيم الذي حدث بين لبنان وسوريا، او بين الاردن والسعودية، او بين المغرب والجزائر، او بين اليمّنين، او بين تركيا وسوريا، او بين ايران والعراق، ففي كل الحالات ابقيت هنالك مطالب لهذا الجزء باراضي الجزء الاخر، او المطالبة به كله باعتباره اقتطع من الاقليم المعنى، وانتهت خريطة التجزئة الى ما نرى الآن امام اعيننا من عشرات الدول، فالبلاد العربية وحدها جزئت ليقوم بها واحد وعشرون او اثنان وعشرون كيانا، ولم يكن مخطط التجزئة ضمن ما حدث على ارض الواقع فقط، بل كانت هنالك مخططات اضافية لم يستطع الاستعمار - لسبب او لآخر - تنفيذها. فعلى سبيل المثال كانت خطة فرنسا تقضي بان تجزأ سوريا الى ثلاث دول او اربع، وخطة ترمي الى تجزئة المغرب الاقصى "المملكة المغربية الآن" الى خمس دول على الاقل، وكذلك كان الحال بالنسبة الى شبه الجزيرة العربية، ولعل النموذج الامثل الذي كان التفتيت يريد ان يذهب اليه، هو ذلك التفتيت الذي نراه في الخليج الآن.

التمزيق شر ممزق البعثة الى اشلاء متناثرة، التقطيع اربا اربا، هذا مافعله الوحش الغاصب بفريسته التي طالما صارح للايقاع بها، وكانت تستعصى عليه، فاعد المخططات للانتقام منها، والثأر لهزيمته الكبرى في الحروب الصليبية. انها التجزئة المؤدية الى اقامة الحدود الدولية فيما بين اجزاء الامة الواحدة، وسن قانون للجنسية في كل جزء، تماماً كما هو الحال فيما بين الدول القومية، واقامة دولة حديثة من الطراز الغربي داخل كل جزء بحيث يصبح مع مضي الايام جسماً غريباً عن اشقائه وبحيث تتكون في داخله مع الايام انظمة وقوانين خاصة به، وتنشأ فئات ذات مصلحة في بقاء الكيان وادامته، ويقوم الاقتصاد ولو مشوهاً على اساس الكيان باعتباره دولة قائمة بذاتها وتنشأ افكار وعقلية و"وطنية" خاصة بالكيان، ويعبر شعب كل كيان تجربة تاريخية في الصراع مع الاستعمار بعيداً عن مسار اشقائه. وتنشأ زعاماته واحزابه وجرائده وحركاته الخاصة به، وبهذا لايبقى فعل التجزئة عملاً قسرياً تفرضه حراب المستعمرين، وانما تصبح واقعا تكوينيا موضوعيا له مؤسساته الموضوعية والذاتية، وبهذا تنشأ دول ووطنيات واسم يصبح اقصى الامنيات معها ان تتضامن وتنسق فيما بينها، او ان تقيم سوقاً مشتركة، او بعض المشاريع الاقتصادية المشتركة، او تخفف من اجراءات الجمارك وتأثيرات الدخول فيما بينها، بل قد تصبح اقصى الامنيات ألا تشتبك فيما بينها بصراعات تضع بأسها فيها ١١".

كانت البداية هذا "البيان" الذي وجهه ملك بريطانيا "جورج الخامس" الى "عموم بلاد العرب" يطلب منهم الوقوف الى جانب بريطانيا في حربها ضد اخوانهم الترك.

يقول هذا: البيان او... الهوان...!!

الى اصداقائنا سكان بلاد العرب - "ابدا لم يكونوا اصدقاء"-!!! قد علمتم - "لم نعلم شيئاً يا جورج...!!!"

اننا معشر الانجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة ١٢ ضد المانيا الا لانها اعتدت على الممالك الصغيرة المتاخمة لها وهاجمتها لغير ماذنب مع ان المانيا نفسها قد كفلت ضمان استقلال تلك الممالك بالعهد والمواثيق الاكيدة.

ولا يغيب عنكم ان المانيا لما اكتنفتها الاخطار واحاطت بها الازمات احتالت بدهائها على الحكومة التركية لتأخذ بناصرها وتشد ازرها وقد استطاعت ان تصل الى مآربها بفضل المبالغ الطائلة من المال والاماني الكاذبة وكانت ترمي بذلك الى الحصول على امر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لان رايتنا تظل الملايين العديدة من المسلمين الذين انضم الى جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم واصلحوا يحاربون معنا ضد الالمان جنبا الى جنب وهي ترجو من وراء ذلك ان ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لا لنا!!

ولاشك في ان كل مسلم صميم ملأت العقيدة الاسلامية قلبه يربأ بنفسه من ان يستخف بعقيدته ويكون ألعوبة في يد دولة اجنبية تجعله قربانا على مذابح مطاعمها الاشعبية!!

وليس جميع المسلمين من رعايا بريطانيا العظمى وفرنسا والروسية وحليفاتها وحدهم قد اظهروا آيات الاخلاص والولاء بارسال زهرة شبانهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها.

بل ان الطبقة الرشيدة من الاتراك سخطت على سوء سلوك تركيا الى هذا الحد ولعل بينكم من يتساءل عن نوايانا بعد ان تطفأ جذوة هذه الحرب فلدفع الالتباس نصرح بما يأتي:

"ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند قررت انه عند انتهاء الحرب ستجعل من بين شرائط الصلح ومواده الرئيسية ان تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحرية وتستعيد رقيها القديم ونصرتها الاولى ١٣.

يربكم افلم يكفكم ذلك؟ لقد صرح لنا بعض مشايخ العربان برغبتهم في التخلص من يد الاتراك وبعضهم يشد اليوم ازر جيوشنا بحد سيوفه اما الذين يرغبون فينا منكم ويخافون المجاهرة بما في نفوسهم فاليهم نسوق حديثنا هذا.

لايداخلكم ريب من جانبنا وترقبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها وعندها تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عن كاهلكم غبار الاستبداد وإننا لانألو جهدا في مد يد المساعدة اليكم كما انا نعدكم وعدا صادقا بأنكم ستصيرون بحول الله وقوته امة متمتعة بكل معاني الاستقلال ١٤ ..

ملك بريطانيا
وامبراطور الهند
جورج الخامس

كانت الدولة العثمانية.. هي الهدف الاول.. اليس فيها مقر الخلافة؟ وكرسى السلطان الذي يتطلع اليه المسلمون
بقداسة!!

ولم ينخدع بهذا "الهراء" سوى الخونة من العرب.. ولم يأبه بهذا "النداء" سوى الطامعين في السلطة والحكم من العرب
والترك.

ففي مدينة "كراتشى" قُدم مولانا "محمد علي" واخوه "شوكت علي" الى محكمة كبرى بتهمة التمرد ورفضهم المنشور
الذي اذاعه الملك جورج وامام - محلفين ليس بينهم مسلم - قال مولانا "محمد علي" لهيئة المحكمة:

ان المسلم الذي يحارب اخاه المسلم مجرم.. وانه لايجوز لجندي او ضابط مسلم ان يساعد جيش بريطانيا في العدوان
على شعب تركيا المسلم واذا أُكره مسلم على ان يخوض حربا ضد شعب مسلم.. فليس عليه ان يرفض فقط.. بل عليه ان
يطالب كل مسلم ان يقف هذا الموقف وان المسلم الذي يرضى بالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.. موافق ضمنا على عدم
شرعية انضمامه الى جيش يحارب المسلمين ويقتلهم بغير حق.. واقول لكم يا حضرات المحلفين:

اذا لم يصدق المسلمون مع ربهم فاستباحوا مخالفة امره.. أينتظر منهم بعد ذلك ولاء لملكهم او جيشه..؟ ربهم.. الذي
وهبهم الحياة.. الشرف العقيدة.. حتى الملك..!!

لا. الله فوق الملك.. الله فوق الوطن.. الله فوق كل شئ.. تلك هي عقيدتي. فاشنقوني ان شئتم ولكن اعلموا.. انكم
بذلك تنتحرون اذ تقتلون ارواحكم.. ١٥

"ان رأس الامر الدين، وان غاية الامر الدين، والمرء الذي لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يجد المعنى
الحقيقي للحياة. ان ولاءه الاول وواجبه الاوحد لله.. قد يتمتع ببعض التكريم وقد تنال شيئا من الولا، غير ان هذا الولا
وذلك التكريم بمقابلته بالولا والاخلاص لله، يذوي كالورقة التي يلفحها اللهب المشبوب، فتذروها الرياح الاربعة، او تلوث
يد الممسك بها بالسواد!!"

لقد كان موقف "محمد علي" هو "موقف" "سعيد النورسي". حين قال له حسين باشا الزعيم الكردي المعروف:

- اريد ان استشيرك في امر. ان جنودي حاضرون والخيول موجودة. وكذلك الذخائر والاسلحة. وانا انتظر امراً منكم..!

سعيد النورسي: ومن ستحارب..؟

حسين باشا: سنحارب مصطفى كمال..

سعيد النورسي: من هم جنود مصطفى كمال..؟

حسين باشا: ماذا اقول.. انهم جنود..!

سعيد النورسي: ان جنوده مسلمون من ابناء هذا الوطن. هم اقربائي واقرباؤك. فمن تقتل..؟ انك تريد ان يقتل المسلم

اخاه المسلم..!

حسين باشا: الموت افضل من هذه الحياة.

سعيد النورسي: وما ذنب الحياة.. اذا كنت قد مللت حياتك فما هو ذنب المسلمين المساكين..؟!

حسين باشا: لقد افسدت عزيمة، لقد اضعفت قيمتي بين عشيرتي..؟!

سعيد النورسي: لايهم ان تكون قيمتك صفرا عند الناس. مادمت مقبولا عند الله تعالى.

حسين باشا: اني اريد تطبيق الشريعة الاسلامية.

سعيد النورسي: ان تطبيق الشريعة الاسلامية لا يكون بهذه الطريقة. اي بقتل المسلم لاخته المسلم..١٦

في عام ١٩٥٧م. في بداية ثورة الجزائر ضد فرنسا استعانت القيادة الفرنسية بجنود من السنغال. لجلد بعض الثوار الجزائريين.

وعندما فتحت الزنازين التي سجن فيها الجزائريون. فوجئ الجنود السنغاليون بالسجناء الجزائريين وهم يقرؤن في المصاحف.. لقد سقطت السياط من ايديهم وتراجعوا الى ساحة السجن وهم يصرخون في وجه القائد الفرنسي:

انهم مسلمون. مسلمون!!!

ان الجنود السنغاليين لم يكونوا يعرفون ان الجزائريين مثلهم مسلمون! فقد افهمهم الفرنسيون انهم اعداء فرنسا واعداء

للسنغاليين!!!

ان الرابطة الاسلامية هي الاقوى.. ولهذا حاول الغرب توهين هذه الرابطة وتفكيكها حتى لا يكون للمسلمين شأن في

هذه الدنيا!!!

يقول ربنا عز وجل: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون" آل عمران:

١٠٣.

ويقول جل شأنه:

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون" آل عمران: ١٠٥-١٠٦".

ويقول ربنا جل شأنه:

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون" الانعام: ١٥٩".

ويقول عز وجل:

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون مبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون" الروم: ٣٠-٣٢".

نجد في هذه الايات:

اولا: دعوة الى الاستقامة. والاستقامة هي الالتزام بشرع الله ومنهجه، وشرع الله هو العاصم من كل اسباب الهوى والتفرقة.

ثانياً: دعوة الى الفطرة، وهي الايمان المستقر في قلب كل مؤمن بعيدا عن النزوات والشهوات النفسية التي تفرق ولا تجمع وتبدد ولا توحد.

ثالثاً: دعوة الى اقامة الصلاة.. والصلاة هي رمز الجماعة المؤمنة المتحدة وعنوان الترابط والتآخي بين الفرد والجماعة، وبين المجتمع والامة.

رابعاً: التحذير من اعمال الشرك وعقائده، لان الشرك يعني التعدد في الآلهة، والتعدد في التفكير والغاية، والتعدد في الاسلوب والوسيلة. فمادامت الآلهة متعددة فكذلك تتعدد الجماعات والفِرَق التي تؤمن بهذه الآلهة ١٧.

لقد كان من اهم الحركات التي ركزت على وحدة الامة الاسلامية واقالة عثرتها حركة جمال الدين الافغاني يقول "لو ثروب ستود وارد" الاميركي عن حركة جمال الدين هذه:

"ان خلاصة تعاليم جمال الدين تنحصر في ان الغرب مناهض للشرق، والروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت في قلب بطرس الناسك، ولم يزل التعصب كامنا في عناصرها، وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحاولها المسلمون للاصلاح والنهضة..

ومن اجل هذا يجب على العالم الاسلامي ان يتحد لدفع الهجوم عليه ليستطيع الذود عن كيانه، ولا سبيل الى ذلك الا باكتناه ١٨ اسباب تقدم الغرب والوقوف على عوامل تفوقه ومقدرته..

ويقول السيد جمال الدين عن نفسه:

"لقد جمعت ماتفرق من الفكر ولممت شعث التصور ونظرت الى الشرق واهله، فاستوقفتني الافغان وهي اول ارض

مس جسمي ترابها، ثم الهند وفيها تثقف عقلي، فايران بحكم الجوار والروابط، فجزيرة العرب: من حجاز هو مهبط الوحي، ومن يمن وتباعتها، ونجد، والعراق، وبغداد وهارونها ومأمونها، والشام ودهاة الامويين فيها، والاندلس وحمراؤها وهكذا كل صقع ودولة من دول الاسلام وما آل اليه امرهم. فالشرق الشرق، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه، وتحري دوائه، فوجدت اقتل ادوائه داء انقسام اهله وتشتت ارائهم، واختلافهم على الاتحاد، واتحادهم على الاختلاف، فعملت على توحيد كلمتهم، وتنبههم للخطر الغربي المحقق بهم" ..

لقد عاش "بديع الزمان سعيد النورسي" حياته بين نفي وسجن وحبس وطرده.

غير انه لم يهن ولم يلن، لم يخف ولم ييأس.. كانت حياته كحياة "جمال الدين الافغاني" من اوجه كثيرة.

وكان الهدف - عند كليهما - واحدا وان اختلفت الصورة.

يقول "شكيب ارسلان" بعد زيارة قام بها الى منزل جمال الدين:

لقد سألته كيف آل حال المسلمين الى ما هم عليه وقد عبر اجدادهم المحيط الاطلنطي. وكانوا اول من اكتشف اميركا؟

فيقول له جمال الدين:

"ان مسلمي - اليوم - قد سقطت هممهم ونامت عزائمهم وماتت خواطرهم. واستيقظ فيهم شئ واحد هو شهواتهم!!..

فلا بد من تربية جيل جديد تربية دينية صحيحة. يتولى امرها اناس يأخذون على انفسهم عهدا ألا يقرعوا بابا لسلطان.

ولاتضعضهم الحدثان ١٩. ولايثني عزمهم الوعيد ولايغرمهم الوعد بالمنصب. ولاتلهيهم التجارة ولا المكسب. بل يرون في

تحمل المتاعب وتحمل المكاره غاية المغنم" ..

أليس ما قاله "جمال الدين" هو. هو ماقاله وفعله بديع الزمان..؟

أليست رسائل النور وجماعة النور هي "الجامعة" الحقيقية لتربية جيل النهضة وكتائب الاخلاص والخلاص..!!؟

ألم تكن جماعة النور ورسائل النور هي "الجامعة" التي ارادها "جمال الدين" لانشاء جيل جديد هدفه الاصلاح

والتخلص من اسباب التخلف والضياع..!!؟

يقول "بديع الزمان. سعيد النورسي" ٢٠:

إن التوحيد الالهي هو جهة الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الاسلام "الوحدة الاسلامية".

اما يمينه وبيعته فهو الايمان.

ومقرّاته واماكن تجمعاته: المساجد والمدارس الدينية والزوايا.

ومنتسبوه: جميع المؤمنين.

ونظامه الداخلي: السنن الاحمدية. والقوانين الشرعية بأوامرها ونواهيها. فهذا الاتحاد ليس نابعاً من العادة وانما هو

عبادة.

فالإخفاء والخوف من الرياء. والفرائض لارياء فيها. وأوجب الفرائض في هذا الوقت هو اتحاد الاسلام "الوحدة الاسلامية".

وهدف الاتحاد وقصده تحريك الرابطة النورانية التي تربط المعابد الاسلامية التي هي منتشرة ومتشعبة. وايقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم الى طريق الرقي بأمر وجداني

ان مشرب هذا الاتحاد هو: المحبة. وعدوه: الجهل والضرورة ٢١ والنفاق.

وعندما نقول "الاتحاد المحمدي" الذي هو اتحاد الاسلام، فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل ٢٢. وليس المراد جماعة في إسطنبول أو في الاناضول اذ إن قطرة من ماء تحمل صفة الماء، فلا احد خارج هذا الاتحاد، ولا يخصص هذا العنوان بأحد. وتعريفه الحقيقي هو:

ان اساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال.. ومركزه: الحرمان الشريفان.. وجهة وحدته: التوحيد الالهي.. عهده وقسمه: الايمان.. نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة.. قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية.. مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا.. ناشر افكار تلك الجماعة نشرأ خالداً الى الأبد: جميع الكتب الاسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره "ورسائل النور احد تلك التفاسير في زماننا هذا" وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف الى اعلاء كلمة الله.. ومنتسبوه: جميع المؤمنين.. رئيسه: فخر العالمين عليه الصلاة والسلام.

ويقول بديع الزمان: "لقد رافقت ايضاً السلطان رشاد في سياحته الى "روم ايلي" ممثلاً عن الولايات الشرقية، وذلك في بداية عهد الحرية.

كان في قطارنا معلمان اثنان، قد تلقيا العلوم في المدارس الحديثة، فجرت بيننا مباحثة، اذ سألتني:

- ايُّما اقوى وأولى بالالتزام: الحمية الدينية أم الملية؟ قلت لهم - وقتئذٍ :-

- نحن معاشر المسلمين، الدين والملية عندنا متحدان بالذات، والاختلاف إعتباري، أي ظاهري، عرضي، بل الدين هو حياة الملية وروحها. فاذا ماأنظر اليهما بأنهما مختلفان ومتباينان، فان الحمية الدينية تشمل العوام والخواص بينما الحمية الملية تنحصر في واحد بالمئة من الناس، ممن يضحى بمنفعته الشخصية لأجل الأمة.

وعليه فلا بد أن تكون الحمية الدينية اساساً في الحقوق العامة، وتكون الملية خادمة منقادة لها وساندة حصينة لها.

فنحن الشرقيين لانشبه الغربيين، اذ المهيمن على قلوبنا الشعور الديني؛ فان بعث الانبياء في الشرق يشير به القدرُ الالهي الى أن الشعور الديني وحده هو الذي يستنهض الشرق ويسوقه الى التقدم والرقي، والعصر السعيد - وهو خير القرون والذي يليه - خير برهان على هذا.

فيا زملائي في هذه المدرسة السيارة، أعني القطار، ويا من تسألون عن التفاضل بين الحمية الدينية والملية، ويا ايها الدارسون في المدارس الحديثة. اني اقول لكم جميعاً:

"ان الحمية الدينية والملية الاسلامية قد امتزجتا في الترك والعرب مزجاً لا يمكن فصلهما، وان الحمية الاسلامية هي أقوى وأمتن حبل نوارني نازل من العرش الاعظم، فهي العروة الوثقى لا انفصام لها، وهي القلعة الحصينة التي لا تهدم" ٢٣.

وبعد:

لقد ظهر كتاب جديد في اميركا اسمه "النبوءة والسياسة" ٢٤ من تأليف السيدة "جرجيس هالسل" وفي هذا الكتاب تتحدث المؤلفة عن الاعداد لحرب نووية يتولى الدعوة اليها جماعة من المسيحيين الانجيليين في الولايات المتحدة انطلاقا من ايمانهم بأنه لكي يعود المسيح الى الحياة مرة ثانية فلا بد من قيام اسرائيل الكبرى..

واسرائيل الكبرى حدودها من الفرات الى النيل.

ولكي يتحقق هذا الحلم فلا بد من قيام حرب نووية تدمر هذه الدول العربية والاسلامية التي تقف في الطريق. اي ابادة الامة العربية كلها ومن يقف وراءها من المسلمين.

وفي مجلة "التايم والنيوزويك" - قبل خمس سنوات - قرأت هذين الخبرين:

يقول الاول منهما:

ان اسرائيل وضعت مخططا كاملا لاقامة الهيكل مكان المسجد الاقصى.

ويقول الثاني منهما:

ان اسقف كنتر بري قد بايع البابا جون بول الثاني لزعامه الكنيسة المسيحية متنازلا بذلك عن تاريخ طويل من الحروب والدمار والعداوة التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت.

ان هذا الاتحاد بين الكاثوليك... والبروتستانت او اتحاد الكاثوليك والبروتستانت مع الارثوذكس او اتحاد الجميع مع اليهود بعد ألفي عام من جرائم القتل. والذبح. والحرق..

هذا الاتحاد. هدفه الاول وهدفه الاخير هو محو الاسلام والمسلمين من فوق هذه الارض..

فحلف "الاطلنطي" يعلن على الملأ ان الاسلام هو العدو..

والاتحاد الاوربي وضع خطته للانقضاض على العرب والمسلمين في اي وقت.

ومجلس الكنائس العالمي يخطط لطرده "الاسلام" من اياصوفيا وعودة "اسلامبول" الى "فاتيكان" للارثوذكس!!..

ومؤتمر "كلوداو" يعمل على تنصير المسلمين في مدة اقصاها خمسين سنة ٢٥.

.. "جرنيفوسكي" الروسي السفاح يطالب باحتلال افغانستان. وايران. وتركيا!!..

واسرائيل تخطط لاقامة "الهيكل" مكان المسجد الاقصى.

و"المنصرون" يعلنون انهم لن يستريحوا حتى يرتفع الصليب فوق مآذن مكة والمدينة..

ولا خلاص.. الا بالاتحاد والوحدة.. والخروج بالامة من نفق الخلافات والفرقة..

".. فاسأل نفسك ايها المسلم من انت ٢٦..؟"

أأنت في مرحلة الحياة..؟

أم الموت..؟

او الموت في الحياة..!!؟

فما اجمل ان يعرف الانسان ذاته..

وان يختبرها في بوتقة الايمان الحق..

والا فحياتك لاتزيد على حلقة من دخان.. او صيحة عابرة في اذن الزمان!!

على العرب والمسلمين ان يتحدوا. فان لم يتحدوا فليتفقوا..

فان لم يتحدوا.. ولم يتفقوا..

فلسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.. اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين.. يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون لومة لائم..

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..

وانه لحق.. وانه لقريب..!!

* ا.د. عبد الودود ابراهيم شلبي: - تعلم في الأزهر حتى حصوله على درجة الماجستير. - اكمل تعليمه العالي في جامعة كمبردج و"أورينتال" في جامعة بنجاب. - شغل مناصب عديدة في مصر والعالم الاسلامي. كما كان مديراً للمركز الاسلامي في مدينة سيدني باستراليا. - آخر وظيفة شغلها هي وظيفة الامين العام للمجلس الاعلى للدعوة في الازهر. - شارك في اكثر من سبعين مؤتمراً اسلامياً في آسيا وافريقيا وأوروبا واستراليا. - عضو اتحاد الكتاب المصريين. والمجلس العالمي للدعوة الاسلامية في باكستان وجمعية الدعوة الاسلامية في السودان. وعضو مؤسس في المجلس العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية. له اكثر من خمسة عشر مؤلفاً باللغتين العربية والانجليزية.

١ العروة الوثقى ص ٢٠ مطبعة سجل العرب . القاهرة.

٢ لقب من القاب ملوك الصين.

٣ العروة الوثقى ص ٦٨ ومابعدها. وكتاب "زعماء الاصلاح" .. احمد امين.

٤ مدبر مدينة. اي امير. او محافظ بلغة العصر.

٥ اندلسيات. محمد عبدالله عنان -ص ٥٢-٥٣.

٦ حاضر العالم الاسلامي ج ٣ ص ٣٠٧-٣٠٨.

٧ انهم يسعون من الان للاستيلاء على "الاستانة" او "إسطنبول" لاعادة اياصوفيا الى كنيسة. وعاصمة للاثرثوكسية!!

وقد طالب بذلك صراحة "بريوسكن" حيث اعلن انه اذا تسلم السلطة في روسيا فلسوف يحتل ايران. وافغانستان وتركيا والجمهوريات الاسلامية في اسيا الوسطى..!!

٨ في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسام انه قال: "يوشك ان تداعى الامم عليكم كما تداعى الاكلة على قصعتها" .. الحديث رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة. وانظر: مشكاة المصابيح ج ٢ طبعة المكتب الاسلامي ١٣٨١هـ..

و.. "المجدار" هو ماينصبه الفلاحون على شكل انسان في الحقول لاختافة الطيور والوحوش ويعرف بخيال المآة!

٩ المركز العام للوثائق - لندن. تحت رقم ٥٥٩٥١٣٧١

١٠ الاسلام وتحديات الانحطاط المعاصر - منير شفيق - ص ٨٢ وما بعدها. الزهراء للنشر، القاهرة.

١١ الاسلام وتحديات الانحطاط المعاصر - منير شفيق - ص ٨٥-.

١٢ حاضر العالم الاسلامي ج ٤ ص ٢٨٣ وما بعدها.

١٣ لقد نهبوا نهبا ومزقوها شر ممزق. واصبحت دويلات هذه المنطقة مدينة بعد ان كانت تفيض ابار النفط فيها

سمنا.. وعسلا!؟

١٤ .. لقد اصبح "العرب" بعد انخداعهم بهذه الوعود الكاذبة طوائف، وقبائل يحارب بعضها بعضا. وكانت الكارثة

الكبرى "ضياع فلسطين" وقيام اسرائيل.

١٥ نقلا عن كتاب: "ايها المحلفون: الله. لا. الملك..! ص ٢٤ وما بعدها.

١٦ بديع الزمان سعيد النورسي ص ٥٦-٥٧ احسان قاسم الصالحي.

١٧ الاسلام عقيدة وشريعة، ومن توجهات الاسلام، والاسلام وبناء المجتمع .. للمرحوم العلامة الشيخ محمود

شلتوت شيخ الازهر الاسبق.

١٨ اكتناه: الوصول الى الكنه والحقيقة

١٩ الحدثنان: المصائب.

٢٠ الخطبة الشامية ص ١٠٥ وما بعدها.

٢١ الحاجة الشديدة التي تدفع صاحبها الى التنازل عن حقوق الدين والامة.

٢٢ المقصود بالقوة: بالاستعداد والقابلية الكامنة في الشئ، واما بالفعل فيعني: بالمشاهدة والمائل امام العين.

٢٣ الخطبة الشامية ترجمة احسان صالح ص ٧٧ وما بعدها.

٢٤ ترجمة محمد السمان - جمعية الدعوة الاسلامية في ليبيا -.

٢٥ انظر كتاب "التنصر" خطة لغزو العالم الاسلامي. وانظر كتابنا: الزحف الى مكة - وافيقوا.. قبل ان تدفعوا الجزية..

٢٦ جاويد نامة.. العلامة محمد اقبال.